الأدب والفن في أسبوع

أدب القوة :

سأل مندوب (المسامرات) الدكتور عبد الوهاب عزام بك عما ينصح به الشباب فى ميدان الأدب لمواجهة نهضة مصر الحديثة ، فأجابه :

« أدعو الشباب إلى أدب القوة ، والقوة النفسية التى تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام فيمضى فى هذه الحياة مجاهداً يشق طريقه إلى غايته ، يذلل الصعاب ويقتحم العقبات . وأدعوهم إلى أدب النجدة والمواساة والإيثار الذى يحدوهم إلى العمل للجماعة وتأدية الواجب ، والاغتباط بفعل الخير دون ابتغاء منفعة أو جاه أو سمعة .

وأحذرهم من الأدب الضعيف الداعر الذى يسف بالنفس إلى الدنايا ، ويقعدها عن الجهاد ، ويخيفها من كل مشقة ويجنح بها إلى الدعة والعكوف على اللذة والإخلاد إلى البطالة والتسكع »

وهذا الذى أجاب به الدكتور عبد الوهاب عزام ، برنامج للأدب المنشود ، موجز فى كلماته ، ولكنه واف فى مراميه ؛ فهو يدعو إلى أدب القوة فى هذا الوقت الذى اقتنع الجميع فيه بضرورة القوة للحصول على الحياة الحرة الكريمة ، وقد زأرت آساد العرب وتحركت نحو هذه الحياة فى الطريق إلى فلسطين ، ولا شك أن الخيول العربية الآن فى جميع أقطار العروبة تملك اللجم ويتحفز فرسانها للوثوب ، وغايتهم القضاء على الدخلاء فى جميع البلاد العربية بادئين بالصهيونيين ...

وهنا آخذ سمة الباحث فى الأدب من حيث تفاعله مع الأحداث وروح العصر ، فأقول إن الأدب لابد أن يستمد من هذه الروح ويدفع تلك الحركات ، لأن وجدان الأمة العربية يزخر بمشاعر القوة والنجدة ، ووظيفة الأدب الأساسية أن يعبر عن الشعور ويستملى الوجدان .

ثم آخذ سمة الباحث فى الاجتماع فأقول إن الأمة تتكون من الأفراد ، فلكى تكون قوية يلزم أن يكون أفرادها أقوياء ؛ وقوة النفس هى أصل القوى ، لأنها ، كما قال الدكتور عزام ، تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام واقتحام العقبات ، وتدعو إلى النجدة والإيثار والعمل للجماعة . والأدب يتفاعل مع كل هذا ، فيتأثر به ويؤثر فيه ، وبذلك يكون أدباً صادقاً .

والشباب مناط الآمال وذوو الأحاسيس المتوثبة والمشاعر الملتهبة ، فلا يصح أن تستنفد قواهم المواطف الخائرة ، فلا تبقى بها أثارة للقدرة على الكفاح للجماعة أو حتى للذات ، فيدفع هذا الضعف إلى الدعة والكسل أو محاولة الوصول عن طرق هينة وإن كانت غير لائقة .

النشيد القومى للعرب :

وبعد فهذه الجيوش العربية تزحف إلى فلسطين ، والآمال تسايرها ، والقلوب تخفق لها ، وإنك لتلمح بين سطور أنبائها فى الصحف أبياتاً من الشعر يهتز لها فؤادك ، وإن كانت لا تزال شاردة لم يقيدها وزن ولا قافية .

فمن لهذا الشعر ينظمه نشيداً للوطن العربى العام ؟ نشيداً واحداً يتغنى به أولئك الأبطال الزاحفون فى سيناء وفى صحراء العرب وبادية الشام وربى لبنان ، وينشده الناشئون فى معاهدهم وملاعبهم ، ليقوى « عضلات » نفوسهم ، وينفى عنها « الترهل » فيها لخول الشعر ، ضموا لنا ذلك النشيد .

مصر ، وتبدلت الأحوال والأوضاع ، وخبا أمله فى تلك الرتبة ، فأراد أن يعوض هذا على نفسه رتبة الإمارة فى الشعر ، فكانت الصحف التى تنطق باسمه تخلع عليه هذا اللقب دائماً ، ثم كانت حفلة المبايعة المعروفة ، وكان شوقى شاعراً كبيراً حقاً فضمن لنفسه هذه الإمارة ، وضمن لنفسه الخلود وهو أكبر وأعظم من كل إمارة ...

إمارة الشعر بدعة انتهت بانتهاء ظروفها ... وليست هذه البدعة بالشيء المعروف فى الأمم الأخرى ... ولم يكن هذا بالأمر المألوف بين شعراء العربية من قبل .. فلم يبايع أحد البحترى بإمارة الشعر ، ولم تقم له حفلة لذلك ، ولكنه كما يقولون أخمل بشعره سبعين شاعراً فى عصره فلم يذكرهم ذاكر ..

« الجاحظ »

ذكرى شوقي في نادي الخريجين :

أكتب هذا يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر أكتوبر ، وهو اليوم الذي نعى في مثله الشاعر الخالد أحمد شوقي بك،وكانت الليلة الماضية ليلة الذكرى ، لا في (الأوبرج) فقد أعلن أن حفلته أجلت إلى أجل غير مسمى نظراً للظروف الصحية الحاضرة ! بل كانت الذكرى في شقة بالعمارة رقم ٢٨ بشارع شريف باشا ، حيث نادي الخريجين المصري .

وكان حفلا صغيراً أقامه النادي في خجل من عدم استطاعته التوسع في البرنامج،ولكن تفرد هذا الحفل بمصر في ليلة ذكرى شوقي أمير شعرائها ، وشعور هؤلاء الشبان الذين أقاموه بضآلة مجهودهم في هذا المقام الجليل ، كل هذا يجعل لهذا الحفل معنى جليلا هو معنى الوفاء الذي لا يغض منه جهد المقل

بدأت الحفل بكلمة للأستاذ مصطفى حبيب تحدث فيها عن ذكرى شوقي من حيث أثرها في النفوس ، ومن حيث مكانة صاحبها الأدبية والوطنية ، وتيمن لافتتاح الموسم الثقافي في النادي بهذه الذكرى . وتلاه الأستاذ محمد فتحي بك فقرأ من شعر شوقي قصيدة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا » التي قالها وهو بالأندلس في الحنين إلى مصر ، وقد ذكرتني قراءة فتحي بك بما يقولون من أن أحد العمال بمطبعة الأهرام غيّر مرة في برنامج الإذاعة كلمة « يقرؤها فتحي بك » فجعلها « يفردها » ولم أكن أصدق هذا وكنت أرجح أن « يفردها » في أصل البرنامج ، ولكني اقتنعت أمس بأنها فعلة ذلك العامل لأني وجدت فتحي بك لا يفرد وإنما يقرأ كما يقرأ الطالب في كتاب المطالعة بفارق واحد وهو أن فتحي بك قليل الخطأ في ضبط الكلمات .. ولكن لم اختار « نائح الطلح» وهو الطائر الذي ينوح في وادي الطلح ؟ ألأن الطيور على أشكالها تقع ؟

أعود من هذا الاستطراد إلى برنامج الحفل . غنى أحد الشبان أغنية « أنا أنطونيو » فأجاد وأطرب ، ثم عرض مشهد من مسرحية « كليوباترا » لشوقي ، مثله ثلاثة من الخريجين : آنسة وشابان أحدهما السيد حسن ابن المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، وقد أحسنوا أداء أدوارهم ، وبرعت الآنسة وهي تمثل مناجاة كليوباترا لنفسها في المعبد بعد هزيمة جيوشها ، إذ كانت تؤدي الشعر بنبرات تمثل معانيه أحسن تمثيل . وقد ألقى أحد الشبان قصيدة تدل على أنه مبتدىء في معالجة القريض ، ولكن كان لابد منها لتنويع هذا البرنامج الصغير في مادته الكبير في معناه . وكان هذا التنويع يقتضي كلمة دراسية في شوقي وشعره ، ولكن النادي لخريجي قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب . وما يعرفونه عن شوقي قليل جداً بالنسبة لما يعرفونه عن شكسبير مثلا ! ! !

ولا تذهب في هذا العجب ... فقد قلت إنه جهد الوفاء ذو المعنى الكبير وإن كان قليلا . أكثر الله خيرهم على كل حال ...

سجع الزعماء :

قرأت في مجلة « المصور » للكاتب الفكه الذي يطلق على نفسه (اللحوس) ما يلي : « من أضحك الأشياء وأدعاها إلى السخرية في هذا البلد ذلك الأسلوب (المسخرة) الذي تحرر به الأحزاب والزعماء والقادة بياناتهم الكبرى الخطيرة للشعب والأمة ... ذلك السجع الممقوت الكريه الثقيل الظل الذي يملأ أعمدة وصفحات كاملة بأسرها في الجرائد ! » .

ومفهوم أن النثر المصري من كتابة وخطابة قد تحرر من السجع أو من التزامه ، فقد يأتي بعض الكتاب بشيء منه لاقتضاء حال من تهكم أو دعابة وقد يجري به القلم لاتساق لفظ وانسجام جرس . وكل هذا بعيد كل البعد عن ما كان في العصور المتأخرة من التكلف الممقوت .

ولكن في السنوات الأخيرة جنح بعض الزعماء السياسيين إلى السجع وطول النفس فيه في خطبهم وكتاباتهم ؛ ويبدو لي أن ذلك يرجع إلى ما يريدون أن يظهروا به من القدرة البيانية وما يرمون إليه من التأثير في نفوس الجماهير .. والحق أن كثيراً من هذا السجع محكم مجوّد ، ولكنه على أي حال ترقيش وتزويق في الكلام ، يساير التهريج في السياسة ، بل هو من أدواته .. والعمل الصالح كالجمال الطبيعي لا يحتاج إلى الأصباغ والأدهان !

أو كما قال (اللحوس) إن هذا السجع (موضة) بطلت ، كما بطلت تلك الزعامات ، وصار روح العصر شيئاً آخر ..

التعليم الجامعي والأدب :

كان موضوع المناقشة في « ندوة الهلال » هذا الشهر : « هل أخفق التعليم الجامعي ؟ » وانتهت المناقشة إلى « أن جامعتنا استطاعت أن تخرج فنيين ممتازين في مختلف ميادين الحياة . كما نجحت في تزويد المجتمع بخريجات كان لهن أثر كبير في تطور النهضة النسائية ، ولكنها أخفقت في خلق الروح الجامعية في نفوس الطلبة ، وأخفقت في تربية نزعة الاستقلال في التفكير وحب الكشف والابتكار في خريجيها . ولم تعن بالنواحي الرياضية وتحبيب الطلبة في الدراسة الجامعية » .

وقد لمست المناقشة الناحية الأدبية لمساً خفيفاً ، وذلك أن الأستاذ شفيق غربال بك لما سئل : هل أضافت الجامعة جديداً إلى الإنتاج العلمي والأدبي ؟ أجاب : « إن الجامعة لا زالت في المهد بالنسبة لغيرها من الجامعات الأجنبية ، ولكني أعتقد أن هناك تجديداً وإضافات في النواحي الأدبية ، وأظن أن الكردانى بك يوافقني على هذا أيضاً في الناحية العلمية » فرد الكردانى بك « هل تعني أن الجامعة خرجت علماء لهم في ميادين الاكتشافات والاختراعات جولات ؟ » فقال شفيق بك : [لا . . إنني أقصد أن الجامعة خرجت « فنيين » ممتازين في كل الميادين . ولكنني لم أتكلم عن « العلماء »] .

ولا أدري أيقصد شفيق بك بهذا التفسير الناحيتين العلمية والأدبية ، أم يخص به الناحية العلمية ؟ على أن الخلاصة التي انتهى إليها النقاش تعم هذا الحكم كما رأيت .

والذي نراه أن الجامعة — بعد الطبقة التي خرجتها الجامعة القديمة والتي رأسها الدكتور طه حسين — لم تخرج مبتكرين في الأدب ، ولم ينتظم سلك أعلام الأدباء أحد خريجيها بعد ، وإن كان بين هؤلاء الخريجين أدباء يدخلون في « فنيين ممتازين » .

القصة المصرية :

وجهت مجلة « المسامرات » إلى « لفيف من أعلام الفكر والرأي » السؤال التالي : هل نجحت القصة المصرية في تثقيف الشعب ؟ فأجاب معظمهم بإثبات نجاحها ، قال الأستاذ العقاد : والقصة المصرية على وجه العموم قد نجحت نجاحاً ملموساً وشقت طريقها إلى الجودة والكمال في كثير من الاتجاهات وإن كان هناك بعض الاتجاهات التي لم تقتحمها بعد ، وكلي أمل في أن تصل قريباً إلى القمة مؤدية رسالتها على خير الوجوه » وقال الأستاذ المازني : « لقد نجحت نجاحاً كبيراً والدليل على ذلك كثرة الإقبال عليها وكثرة ماينشر منها » وقال الأستاذ بيرم التونسي : « إن معظم القصص المصرية التي ظهرت حتى الآن في غاية الإتقان مما يبشر بمستقبل حسن للقصة المصرية » وقال الدكتور زكي مبارك : « لقد نجحت القصة المصرية بكل تأكيد لأنها فتحت آفاقاً من الخيال ، وراضت الجمهور المصري على الذوق الفني ، وأعطت المصريين فرصة للرحلات الفنية إلى الشرق ، وخلقت أبواباً من الثروة الفكرية والعقلية عند فريق من الجماهير »

وخالفهم المشاوي باشا فقال : « لاتوجد عندنا قصة مصرية بالمعنى المفهوم لتثقيف الشعب » وقال : « لقد لقيت الأمرين عندما كنت وزيراً للمعارف ، إذ احتجنا إلى قصص مصرية قوية لتمثيلها في المدارس أو توزيعها على التلاميذ فكنت أكثر من عمل المسابقات لعلها تغري الكتاب على الاهتمام بهذا النوع من التأليف . ولكن لم يكن يصلنا في كل مسابقة إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع » .

وأقول إن ما نراه من القصص الضعيفة أو المنتوشة من القصص الغربية ، لا ينبغي أن تطغى النظرة إليه على النتاج القصصي القيم الذي يدل على تقدم فن القصة عندنا في العصر الحديث تقدماً تلمسه فيما نشر من القصص في الصحف والمجلات والكتب الخاصة، ولقد قامت «الرواية» التي أدغمت في «الرسالة» بمجهود كبير في هذا السبيل ، والرجوع إلى مجموعاتها يقفك أو يذكرك بذلك المجهود ، وإنك لترى فيها إلى جانب المترجمات قصصاً مصرية تعد من ثروتنا في هذا الفن الحديث ، كيوسيات نائب في الأرياف التي كان يكتبها بالرواية تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم والتي جمعها بعد ذلك في كتاب .

أما ما ذكره سعادة المشاوي باشا من أنه لم تقدم إلى مسابقة وزارة المعارف إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع ، فرجعه أن كتاب القصة الناضجين يتجنبون النزول إلى مثل هذا التسابق ، إما استكباراً ، أو لأنهم يتوسمون أن فهم الطليق لا يرضى الهيئات التعليمية التي تتوخى الوقار والتزمت فيما يقدم إلى الطلاب ، ومنهم من يسيء الظن بالمحكمين ، على أن وزارة المعارف اتجهت أخيراً إلى الاختيار مما في السوق في مثل هذا بدلا من تلك المسابقات .

« العباسي »